وتثبيت الأقدام : تمثيل لليقين وعدم الوهن بحالة من ثبتت قدمه في الأرض فلم يزل فإن الزلل وهن يسقط صاحبه ولذلك يمثل الانهزام والخيبة والخطأ بزلل القدم قال تعالى (فتزل قدم بعد ثبوتها) .

(والذين كفروا فتعسا لهم وأضل أعمالهم [8] ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل ا فأحبط أعمالهم [9]) هذا مقابل قوله (والذين قاتلوا في سبيل ا فلن يضل أعمالهم) فإن المقاتلين في سبيل ا هم المؤمنون فهذا عطف على جملة (والذين قاتلوا في سبيل ا) الآية .

والتعس : الشقاء ويطلق على عدة معان : الهلاك والخيبة والانحطاط والسقوط وهي معان تحوم حول الشقاء وقد كثر أن يقال : تعسا له للعاثر البغيض أي سقوطا وخرورا لا نهوض منه . ويقابله قولهم للعاثر : لعا له أي ارتفاعا قال الأعشى : .

بذات لوث عفرناة إذا عثرت ... فالتعس أولى لها من أن أقول لعا وفي حديث الإفك " فعثرت أم مسطح في مرطها فقالت : تعس مسطح " لأن العثار تعس .

ومن بدائع القرآن وقوع (فتعسا لهم) في جانب الكفار في مقابلة قوله للمؤمنين (ويثبت أقدامكم) .

والفعل من التعس يجيء من باب منع وباب سمع وفي القاموس إذا خاطبت قلت : تعست كمنع وإذا حكيت قلت : تعس كسمع .

وانتصب (تعسا) على المفعول المطلق بدلا من فعله . والتقدير : فتعسوا تعسهم وهو من إضافة المصدر إلى فاعله مثل تبا له وويحا له . وقصد من الإضافة اختصاص التعس بهم ثم أدخلت على الفاعل لام التبيين فصار (تعسا لهم) . والمجرور متعلق بالمصدر أو بعامله المحذوف على التحقيق وهو مختار ابن مالك وإن أباه ابن هشام .

ويجوز أن يكون (تعسا لهم) مستعملا في الدعاء عليهم لقصد التحقير والتفظيع وذلك من استعمالات هذا المركب مثل سقيا له ورعيا له وتبا له وويحا له وحينئذ يتعين في الآية فعل قول محذوف تقديره : فقال ا : تعسا لهم أو فيقال : تعسا لهم .

ودخلت الفاء على (تعسا) وهو خبر الموصول لمعاملة الموصول معاملة الشرط .

وقوله (وأضل أعمالهم) إشارة إلى ما تقدم في أول السورة من قوله (الذين كفروا وصدوا عن سبيل ا أضل أعمالهم) وتقدم القول على (أضل أعمالهم) هنالك .

والقول في قوله (ذلك بأنهم كرهوا) الخ في معناه وفي موقعه من الجملة التي قبله وفي

نكتة تكريره كما تقدم في قوله (ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل) .

والإشارة إلى التعس وإضلال الأعمال المتقدم ذكرهما . والكراهية : البغض والعداوة .

و (ما أنزل ا) هو القرآن وما فيه من التوحيد والرسالة والبعث قال تعالى (كبر على المشركين ما تدعوهم إليه) .

والباء في (بأنهم كرهوا) للسببية .

وإحباط الأعمال إبطالها : أي جعلها بطلا أي ضائعة لا نفع لهم منها والمراد بأعمالهم : الأعمال التي يرجون منها النفع في الدنيا لأنهم لم يكونوا يرجون نفعها في الآخرة إذ هم لا يؤمنون بالبعث وإنما كانوا يرجون من الأعمال الصالحة رضى ا ورضى الأصنام ليعيشوا في سعة رزق وسلامة وعافية وتسلم أولادهم وأنعامهم فالأعمال المحبطة بعض الأعمال المضللة وإحباطها هو عدم تحقق ما رجوه منها فهو أخص من إضلال أعمالهم كما علمته عند قوله تعالى (الذين كفروا وصدوا عن سبيل ا أضل أعمالهم) أول السورة .

والمقصود من ذكر هذا الخاص بعد العام التنبيه على أنهم لم ينتفعوا بها لئلا يظن المؤمنون أنها قد تخفف عنهم من العذاب فقد كانوا يتساءلون عن ذلك كما في حديث عدي بن حاتم أنه سأل رسول ا صلى ا عليه وسلم عن أعمال كان يتحنث بها في الجاهلية من عتاقة ونحوها فقال له رسول ا صلى ا عليه وسلم " أسلمت على ما سلف من خير " أي ولو لم يسلم لما كان له فيها خير .

والمعنى : أنهم لو آمنوا بما أنزل ا لانتفعوا بأعمالهم الصالحة في الآخرة وهي المقصود الأهم وفي الدنيا على الجملة .

وقد حصل من ذكر هذا الخاص بعد العام تأكيد الخير المذكور .

(أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عقبة الذين من قبلهم دمر ا عليهم وللكفرين أمثالها [10]) E A